ضياع الاموال باغتصاب العمّال

مرّ بنا الصيف واغتصاب العمّال يتنقّل في ممالك اوربا تنقّل الوباء ويدوّخ معاملها تدويخ الاعداء. واخبارهُ ترد الينا بسرعة البرق كأنّهُ من المسائل السياسيّة المعضلة. والملوك والرؤساء يهتمون بهِ ويسعون جهدهم في اخماد ثورتهِ. ولذلك لاق بنا ان نذكر طرفًا من تاريخهِ ومضارّهِ فنقول

منذ خمسة قرون ونصف فشا الطاعون في المسكونة وعاث فيها مدّة ثماني سنوات فاهلك ثلثي البشر. قال ابو الفدا ان الوباء اتصل بالقرم حتى صار يخرج منها في اليوم الف جنازة او نحو ذلك واحصى قاضي القرم من مات بالوباء فكانوا خمسة وثمانين الفًا. وذكر غيرهُ من المؤرخين انهُ مات بهِ في البندقية ستة الف وفي مدينة لندرا خمسون الفًا وفي بلدان المشرق كلها عشرون مليونًا. وعمل ابو الفدا رسالة سماها النبا عن الوبا قال فيها. «طاعون روّع واماتَ وابتدأ خبرهُ من الظلمات ما صين عنهُ الصين ولا منع منهُ حصنٌ حصين سلّ هنديًا في الهند واشتدّ على السند وقبض بكنيو وشك على بلاد ازبك. وكم قصم من ظهر في ما وراء النهر ثم ارتفع ونجم وتجم على العجم وقرم القرم ورمى الروم بتحجر مضطرم وجرّ الجزائر الى قبرس والجزائر. ثم قهر خلقًا بالقاهرة وتنبّهت عينهُ لمصر فاذام بالقاهرة الى ان قال

اسكندرية ذا الوبـا سبع يمدُّ اليك ضبعَهْ
صبرًا لنسمتهِ التي تركت من السبعين سبعَهْ

ثم يمّم الصعيد الطيّب وابرق على برقة منهُ صيّب. وغزا غزه وعسقلان هزّه وعكّه الى عكا واستنهد بالقدس وزكّى وصاد صيدا وكاد بيروت كيدًا ثم صدّد الرشق الى جهة دمشق فتربّع ثمّ وتيّد وفتك كل يوم بالف وازيد. ورمى حمص بجلل وصرفها مع علمهِ ان فيها ثلاث علل ثم طلّق الكنّة في حماه فبرد عاصيها من حماه. وحماة موطن ابي الفدا فقال في خطابهِ

يا ايها الطاعون ان حماة من خير البلاد ومن اعزّ حصونها
لا كنتَ حين شممتها فشممتها واثمتَ فاهًا آخذًا بقرونها

وفي الجملة فان المصيبة كانت عامّة والبلوى طامّة. ونجا عن الطاعون ان قلّ

العمّال كثيرًا فاعتصب بقيتهم على رفع الاجور وهو اول اعتصاب ذكر في تواريخ القرون الوسطى فيما نعلم. ومن ثمّ جعلوا يعتصبون طالبين رفع اجورهم كلما حانت لهم فرصة فيقابلهم اهل السيادة بالشدّة والعنف. ولما صُنعت الآلات الجديدة التي اغنت الناس عن كثير من العمّال اعتصبوا ضدّ اصحابها وقاوموهم اشدّ مقاومة وكان الاعتصاب على اشدّه في البلاد الانكليزية ففي سنة ١٨١٠ اعتصب ثلاثون الف عامل وتركوا العمل اربعة اشهر متوالية فخسروا بذلك ثلثمئة الف جنيه اجورًا وكادوا يموتون جوعًا لو لم يساعدهم بقية العملة الذين لم يتركوا العمل. ولما اضناهم الجوع على غير جدوى رجعوا الى اعمالهم واجورهم على حالها

ثم اعتصب العمال سنة ١٨٣٠ وهجموا على المعامل وكسروا ما فيها من الآلات وقتلوا احد رؤسائها ولكنهم لم يفلحوا بل كانت الخسارة عليهم مئتين وخمسين الف جنيه اجرة

وسنة ١٨٣٠ اعتصب ثلاثون الف عامل وابطلوا العمل عشرة اسابيع ثم اضطروا ان يعودوا اليه بعد ان خسروا من اجورهم مئتي الف جنيه. واعتصب العمال ثانية في مدينة برستن سنة ١٨٣٦ وابطلوا العمل ثلاثة اشهر فكادوا يهلكون جوعًا وخسرت المدينة بسبب ذلك اكثر من مئة الف جنيه وخسروا هم سبعة وخمسين الف جنيه حتى اضطرّ اصحاب المعامل ان يفتحوا معاملهم ويزيدوا لهم اجورهم شفقةً عليهم لا احتياجًا لهم على ما قيل. ثم اعتصب عمّال تلك المدينة سنة ١٨٥٤ وابطلوا العمل طالبين زيادة اجورهم ولكنهم لم يحاولوا الاضرار باحد بل تحملوا مضض الفاقة والجوع بالصبر الجميل وطالت ايام عطلتهم حتى بلغت ستة وثلاثين اسبوعًا وكان بقية العمال في تلك المدينة ومدينة بلكبرن يبعثون اليهم بالنفقات فبلغ ما اعطوهم اياهُ في هذه المدة سبعة وتسعين الف جنيه وهو كرم لا مثيل له. ولما رأى العمال ان لا فائدة لهم من هذا الاعتصاب تفرّق شملهم وعادوا الى اعمالهم وقدّرت خسائرهم وخسائر اربابهم بخمس مئة الف جنيه

وسنة ١٨٧٨ اعتصب ثلثمئة الف من غزّالي القطن وتركوا العمل شهرين فخسروا بسبب ذلك نحو مليونين ونصف مليون من الجنيهات وقدر لورد ابردين خسائر العمال في مناجم الفحم في وايلس باعتصابهم سنة ١٨٧٣ بثلاثة ملايين من الجنيهات

ومن اعظم الاعتصابات في اميركا ما حدث سنة ١٨٧٧ فقد اعتصب فيها مئة الف من مستخدمي سكك الحديد واربعون الفًا من مستخرجي المعادن واضطرت الحكومة

ان تسكّن ثورة المعتصبين بقوة الجند لانهم كانوا يعيشون في البلاد حتى اتلفوا التي مركبة في مدينة واحدة وقدرت خسائر سكة الحديد فقط بمليونين من الجنيهات

واعتصاب العمال يتناول كل حرفة وصناعة ونتيجته الغالبة خسارة العمّال فعمّال برستن خسروا نصف مليون من الجنيهات وعادوا الى اعمالهم بالاجور السابقة وبنّاؤو مدينة لندن خسروا ثلثمئة الف جنيه وعادوا الى عملهم بالاجرة السابقة واكثر الذين اعتصبوا عادوا الى عملهم بالاجرة السابقة

هذا وقد ابنّا في مقالتين مسهبتين في المجلد الحادي عشر من المقتطف اسباب الاعتصاب ونتائجه واوضحنا ان نتائجه وخيمة على الصناع ولو زادت اجورهم لان هذه الزيادة والخسارة التي خسرها اصحاب المعامل بسبب الاعتصاب تضاف الى ثمن المصنوعات فتؤخذ ثانيةً من العمال ونحوهم ممن يشتري المصنوعات. وقد زادت اجور العمال وقلّت ساعات عملهم ورخصت حاجياتهم لا من اعتصابهم بل من تسهيل الاعمال بواسطة المكتشفات والمخترعات الحديثة فصار العامل يصنع في عشر ساعات مثلاً ما لم يكن يصنعهُ في ثلاثين وار بعين ساعة وصار يتباع بالريال الواحد من الطعام والشراب واللباس ما لم يستطع ابتياعهُ قبلاً باقلّ من ريالين او ثلاثة . ولو اقتصد العمّال في نفقاتهم وشاركوا اصحاب المعامل او انشأوا معامل جديدة لاشتركوا في كل ارباح المعامل سواء زادت اجورهم ام نقصت وعاشوا بالراحة والرفاهة

مآل العمران

وهي محاورة بين الرضى والضجر

حدّث الباحث بن العصر قال . دخلت القاهرة المُعزّية ابحث عمّا لمدارسها من المزيّة حتى صبرت على نوائب الايام ولم تُدرَس كما دُرِسَت اخواتها في العراق والشام . فجمعني القدر بصديقيّ الرضى والضجر ورأيتهما يتأهّبان للمحاورة في احوال العمران أهو ثابت الاركان مآلهُ السعادة ام متزعزع نهايتهُ الخسران . وكنتُ قد شاهدتُ احد الفضلاء راجعاً من معرض باريس . وسمعتهُ يشكو من مضارّ الحضارة ويشرح معائبها بوجه عبوس . واجتمعت قبل ذلك بناظر المعارف السابق ودار الكلام على اسباب الغنى والفقر ونتائج